

المؤلف وأثره في صناعة النشر أ. د. خالد ميلاد

٠ - يتفق المختصون في صناعة النشر على أنها صناعة تتكون، عموماً، من ثلاث حلقات ويسهم فيها أربعة أطراف، فأما الحلقات فهي:

حلقة التأليف المتمثلة في توفير المحتوى المعرفي أياً كانت جهاته ومضامينه؛
وحلقة الطباعة المتمثلة في جعل المحتوى المعرفي كيانا مادياً، ورقياً أو رقمياً، قابلاً للنشر بين المستفيدين؛
وحلقة التوزيع، وتتمثل في إيصال المحتوى المؤلف المطبوع إلى أكبر عدد ممكن من المستفيدين حيثما كانوا وكيفما كان وجودهم بالقوة أو بالفعل.

وأما الأطراف الفاعلون في هذه الحلقات الثلاث فهم أربعة:

المؤلف، وهو موضوع حديثنا، وسنبحث في أثره في صناعة النشر، وصاحب المطبعة، والموزع، ثم الناشر وهو الجهة الرابطة بين هذه الأطراف وتلك الحلقات جميعاً.

قد يضيفون إلى هذه السلسلة حلقات أخرى من مثل المكتبة والقارئ وأحياناً الناقد، وهي حلقات مهمة، لأن المصنفات ستحيى في هذه الحلقات وبها، وهنالك سترى حياة حيّة وحظاً سعيداً وطلباً يعود بالفائدة على جميع الأطراف، أو كساداً وبؤساً ونسياناً.

ولئن ذكرنا بهذا التصميم لصناعة النشر، فلأنه:

أولاً: قد يساعد على تعميق تمثّل منظومتها التقليدية الغالبة وما تنبني عليه من تسلسل خطّي زمني، وما طرأ عليها من تغييرات ولدت علاقات متجدّدة متغيّرة لا تخضع بالضرورة لهذا التسلسل الخطي الزمني،

وثانياً: قد يساعد من جهة ثانية على إبراز قيمة المؤلف ودوره الفاعل في صناعة النشر سواء قامت على العلاقات التسلسلية الخطية الزمانية المعروفة، أو غيرها من العلاقات الجديدة الطارئة المتولدة عن التطور السريع للبنية الاتصالية الرقمية.

وعلماً يقوم على بيان محاور ثلاثة نخترلها في ثلاثة أسئلة:

من هو المؤلف الذي تنطبق عليه هذه التسمية؟
ما هي ملامحه الموجودة في البلاد العربية، وما هي الملامح المنشودة الموجودة في الربوع التي تزدهر فيها صناعة النشر؟
وأيّ أثر للمؤلف، استناداً إلى هذه الملامح وما يحيط بها من أوضاع، في ترقية صناعة النشر وتعزيزها وتنمية الأمن الثقافي وتعميمه وترسيخه في عموم الوطن العربي؟

١ - يتألف الأمن القومي، عموماً، في اعتبارنا، من ثلاثة روافد تتمثل في:

الأمن القومي العسكري، والأمن القومي الغذائي، والأمن القومي الثقافي، وصناعة النشر هي صناعة الأمن القومي الثقافي الفكري. وهي أخطر الصناعات إذ بها يكون تأصيل الثقافة القومية،

وبعث الروح الإبداعية في الشعوب وإشاعة المعارف والآداب والفنون فيها، وتطويرها وتوجيهها التوجيه الذي يتماشى مع اختياراتها الاستراتيجية الحضارية الكبرى.

وإذا كان المؤلف رأس صناعة النشر ومركزها، كما لاحظنا في السلسلة المذكورة، فهو رأس صناعة الأمن العربي الثقافي وأساسها.

ويعرّف المؤلف، من وجهة نظر قانونية، بأنه الشخص الذي يبتكر المصنّف، فخصيصة الابتكار وحمل الطابع الشخصي خصيصة حدية واجبة مركزية، وهي التي سيتولد عنها حق الحماية القانونية لحقوق الملكية الفكرية.

ويعرّف بأنه المبتكر المبدع في مجالات الآداب والفنون بمختلف أصنافها وفروعها.

ويعرف المؤلف، بصفة عامة، بأنه صاحب الحكمة ومبتكر المعرفة، وأنه منبع الثقافة ومصدر التنوير ورسول التسامح.

٢- وملامح المؤلف تتحدّد، في اعتبارنا، في:

- ملامح موجودة في أوساطنا التقليدية القديمة والحالية التي لم تتغير كثيرا عن الماضي.

- وملامح منشودة في أوساطنا العربية، موجودة في الأوساط الغربية الحالية حيث تتغير أحوال الأمم إلى الأفضل كل يوم.

أمّا ملامح المؤلف الموجودة في أوساطنا العربية اليوم فنتمثل خاصة في:

- أنه حلقة أولى من حلقات صناعة النشر، وطرف أول، يضع ما يضعه من إبداعات، ضعيفا دون أيّ سند، ويمضي وقد تقاذفته وساوس شتى، فقد تأتي بعد حلقة تأليفه سائر الحلقات بطريق الصدفة أحيانا، وقد لا تأتي، وقد يحل إثره أطراف لا يجمع بينهم غير السلسلة الصناعية التجارية.
- أنه وحيد متوحّد بجميع المفاهيم والمعاني الحقيقية والمجازية والحافة، يحسّ بوحدته في هذه السلسلة المجهولة لديه، لا تربطه بمن فيها علاقة ذات بال، فلكل مجاله ولكل أدوات عمله ولكل عبقريته الخاصة وتميزه المخصوص.
- وقد يعتمد إلى النشر على حسابه الخاص، تكريسا لوحده وردّ فعل على ما يلاقيه من إهمال الناشرين إنتاجاته.
- والمؤلف، في ما يضعه من مضامين وأشكال، إنما هو، في الأغلب الأعم، أقرب إلى الاتباع منه إلى الإبداع، يخاف التجديد لأن المجتمع بأكمله يخاف التجديد في الأشكال وفي المضامين، بحكم ما استقر في عموم نسيجه من جهل، وما استشرى في أعماق لاوعيه من جبن وخوف وكسل ووثوقية / دغمائية.
- والمؤلف يحيى تبعا لذلك على إعادة إنتاج الماضي بما فيه من تجارب وقيم قد لا تتناسب دائما مع قيم العصر المتوثبة المتجددة والمتحررة من الخرافي المقدس المتكلس.
- وتسعى، بقية السلسلة، في الأغلب الأعم، إلى إنتاج تلك الأعمال، في محامل تقليدية، ورقية من نوع الأقل تكلفة، غير مدروسة علميا، وغير مناسبة دائما للمستفيدين مع اختلاف أجيالهم ومستوياتهم واختلاف أوقاتهم وحاجاتهم، فتقلّ القيمة التنافسية التسويقية فيها، إزاء أسواق مغرية جديدة للتواصل، ويضعف الإقبال عليها، فيضعف الناشر و"يموت" المؤلف دون حقوق في الحياة وفي الممات.

بهذه الملامح يحيى المؤلف اليوم في عموم بلادنا العربية، هو طرف أول وحلقة أولى ضعيفة في سلسلة صناعة نشر متدهورة، قد تكون، بحالها تلك، عاملا من عوامل ضعف كيان هذه البلاد، واختراق مناعتها.

وأما ملامح المؤلف الموجود في المجتمعات التي تزدهر فيها صناعة النشر، المنشود في مجتمعاتنا العربية فتتمثل في:

- أنه قوي بقوة ما يسنده من أطر قانونية متصلة به وبمهنته مترسخة محترمة، تحميه في جميع مراحل إبداعه، وفي جميع مراحل حياته، وبعد وفاته.
 - أن المؤلف لم يعد طرفا أول في حلقة أولى في سلسلة صناعة النشر فحسب، وإنما هو أيضا طرف من الأطراف المسهمة في التأليف والإنتاج، هو طرف مركزي في بنية علائقية جديدة مع سائر الأطراف، إذ لم يعد أمر الصناعة منبئيا في شكل سلسلة بقدر ما هو منبئ في شكل دوائر مترابطة متعاقبة.
 - أنه فقد بذلك كثيرا من تفردته وتوحده وضعفه وأصبح عنصرا في وحدات إنتاج معرفي مشترك، فقوي مركزه بقوة حقوقه والقوانين المترسخة المحترمة التي تضمنها، وقوة الإنتاج المشترك المنشور.
 - أن المؤلف، في وحدة الإنتاج المشترك تلك، في مجتمع الإبداع، مبدع مع المبدعين، مجدد مع المجددين، مؤمن معهم بصواب الاستثمار في مجتمع المعرفة المتجدد الخلاق، استنادا إلى محامل عصرية جديدة ومتجددة في أشكالها ومضامينها.
 - أن وحدات الإنتاج الفني الإبداعي المندمج وحدات تسهم فيها مختلف الأطراف المعروفة في صناعة النشر في شكلها التقليدي، وسائر الأطراف التي انضافت إلى المنظومة من مثل المستفيدين وأهل الدعاية والإشهار وأرباب الفنون المختلفة بحسب نوع التأليف والنشر من مثل التصميم والرقمنة والتصوير والتركيب... وهذه الفنون هي، في ذاتها، تأليف آخر، أو جزء لا يتجزأ من التأليف، لها ما لها من حقوق وُسمت بالمجاورة من جهة، وهي بمثابة القيمة المضافة للمنتج المعرفي الأدبي الذي يتألف، في مراحل منه، في فضاء فني سيبرني مفتوح.
 - أن المؤلف في وحدات الإنتاج، متحرر من قيود الخرافي المقدس المتكلس والوثوقي الدغمائي المعظم المتكس، لأنه قوي بقوة ما حازه من حقوق معنوية ومادية، وقوي بقوة الاستراتيجيات الاستثمارية في صناعة النشر، وقوي بامتلاء منتوجاته إبداعات فنية وقيمة جمالية وإنسانية تسهم إسهاما فعالا في تنمية العقول وترقية الأذواق وبناء المجتمع الإنساني المنفتح المترسخ في إنسانيته..
- على تلك الحال، يحيى المؤلف في ربوعنا، ضعيفا، مجردا من حقوقه، في أول حلقة في سلسلة من الضعفاء المقلدين الوثوقيين الخائفين، المستثمرين في صناعة النشر باعتبارها صناعة تجارية، لا صناعة للاستثمار الاستراتيجي في المعرفة أساسا لكل تنمية عقلية وتربوية وجدانية وتوجيه فكري وأمن قومي ثقافي وبناء حضاري إنساني.
- ويحيى المؤلف في المجتمعات التي تزدهر فيها صناعة النشر، حرا مبدعا مبتكرا، قويا بما يحتضنه من مؤسسات إنتاجية، وما يحزمه من أطر قانونية، وما يكتنفه من استراتيجيات قومية معمقة صلبة راهنت على العلم والمعرفة، وما يعضده من مخرجات التطور الفني والرقمي وإبداعاتها وما تولد

منها من علاقات جديدة أصبحت تربطه بسائر الأطراف المسهمة في صناعة النشر والمؤثرة فيها إيجاباً.

٣- ونخلص إلى:

أنّ للمؤلف دوراً أولياً فعّالاً في صناعة الأمن الثقافي، أعني صناعة النشر، إذ يمثل، بطبيعة حاله، الحلقة الأولى في سلسلة المنظومة الصناعية الثقافية هذه، على أنّ هذه الأولوية غير كافية، بصفة مطلقة، لكي ينهض المؤلف بدوره في ترقية صناعة النشر. وإنما يقتضي هذا الدور شروطاً أخرى كثيرة، منها ما يتصل به في ذاته، ومنها ما يتصل به في محيطه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والقانوني، منها:

✚ أن يكون مؤلفاً، بما ذكرنا من حدّ للمؤلف، أعني أن يكون مبتكراً ذا طابع شخصي أصيل صادق يتميز به من سائر المؤلفين، وهذا الابتكار هو عامل من عوامل قوته، وهو الذي يخول له حقّ نسبة المصنّف إليه، ويخول له سائر حقوقه المعنوية والمادية.

✚ وأن يكون حرّاً في ابتكاره وإبداعه، قويا بما حصله من قوة ابتكاره، ساعياً إلى الإسهام، بحرّيّة وقوة واقتدار واختيار، في الارتقاء بالحركة الثقافية وتطويرها وتوجيهها الوجهة المناسبة للاستراتيجيات الثقافية الكبرى.

✚ وأن يستبّق مستجدّات البنية الاتصالية الحديثة بما توفره من نشر إلكتروني وتسويق إلكتروني للمصنّفات، رغم ما يكتنف ذلك النشر من مشاكل قانونية عديدة، وذلك ترسيخاً لقوته المحصلة من ابتكاره، وتقويةً لمكانته في سلسلة صناعة النشر، ومجابهةً لمنافسة شبكات التواصل الاجتماعي التي أغرقت أسواق المعاملات والاتصال.

على أن المؤلف لا يعدو أن يكون، في الأغلب الأعم، ابنَ بيئته ومولود محيطه السياسي والاقتصادي الاجتماعي، ولكي يزداد أثر المؤلف في هذا المحيط قوة وترسخاً وعطاء وتأثيراً في الحياة الثقافية نجده بحاجة إلى:

- ✓ أطر قانونية تبلور مهنة المؤلف تأسيساً وترسيخاً وتعزيزاً، بمقدار ما بيّنا من قيمتها في الأمن الثقافي العربي المنشود، وتساعد المؤلف في احتضان أعماله وإبداعاته في بدايات مساره، وتضمن مجمل حقوقه في سائر مراحل حياته.
- ✓ إجراء حقوقه المترتبة عن ابتكاره، لتزداد إبداعاته تفتقاً وتألّقاً فتزدهر سوق النشر، وحقوقه كثيرة منها المعنوي ومنها المادي ومنها المجاور، لكنها، في بلادنا، حقوق ضعيفة الإجراء، منصوص عليها في النصوص حسب، أو تكاد، وفي ضعف إجراء حقوق المؤلف إضعاف للمؤلف، وفي إضعاف المؤلف إضعاف للناسخ، وإضعاف جميع حلقات إنتاج المصنّف، صناعة الأمن القومي الثقافي.
- ✓ مؤسسات نشر قوية ذات حرفية عالية مستوعبة لما جد في البنية الاتصالية من مستجدات.
- ✓ مؤسسات إنتاج سمعية بصرية قادرة على إعطاء قيمة مضافة للمؤلفات الإبداعية، وقادرة على المنافسة والانتشار. ووحدات إنتاج مندمجة متعددة الاختصاصات والفنون، تملأ ما لليافعين والشباب والنساء من أوقات حرة كثيرة.
- ✓ وهو بحاجة إلى موزّع أقوى، قادر على إدارة مسالك للتوزيع منظمة، وإتاحة دعاية إسهارية عصرية متطورة قوية، تأخذ بجميع وسائل التقدم التكنولوجي الرقمي المتجدد التطور.
- ✓ وهو بحاجة استراتيجيات عميقة تهدف إلى التربية على الحريات الإبداعية الخلاقة وحماتها وتكريسها وترسيخها في مجتمع يميل إلى الوثوقية وتقديس الماضي وتقليد السلف.

✓ وهو بحاجة إلى رؤى واضحة وسياسات صريحة تدرج، بقوة، ضمن أولوياتها المصيرية تحقيق الأمن القومي الثقافي، بطرق علمية دقيقة عميقة، وتولي صناعة النشر، صناعة الأمن القومي الثقافي، ما تقتضيه من عناية واهتمام، تنمية للعقل، وتربية للوجدان، وحماية لكياننا، وتعزيزا لمناخ وطنا العربي، وتعميما لثقافة الإبداع التي تُرسخ شعوبنا في إنسانيتها، وفي حركة التاريخ الطبيعية النابضة حياةً حيّة.